نجيب كيالي

العيد والأرجوحة

قصص للأطفال

نسخة مدققة لغوياً، ومضبوطة بالشكل

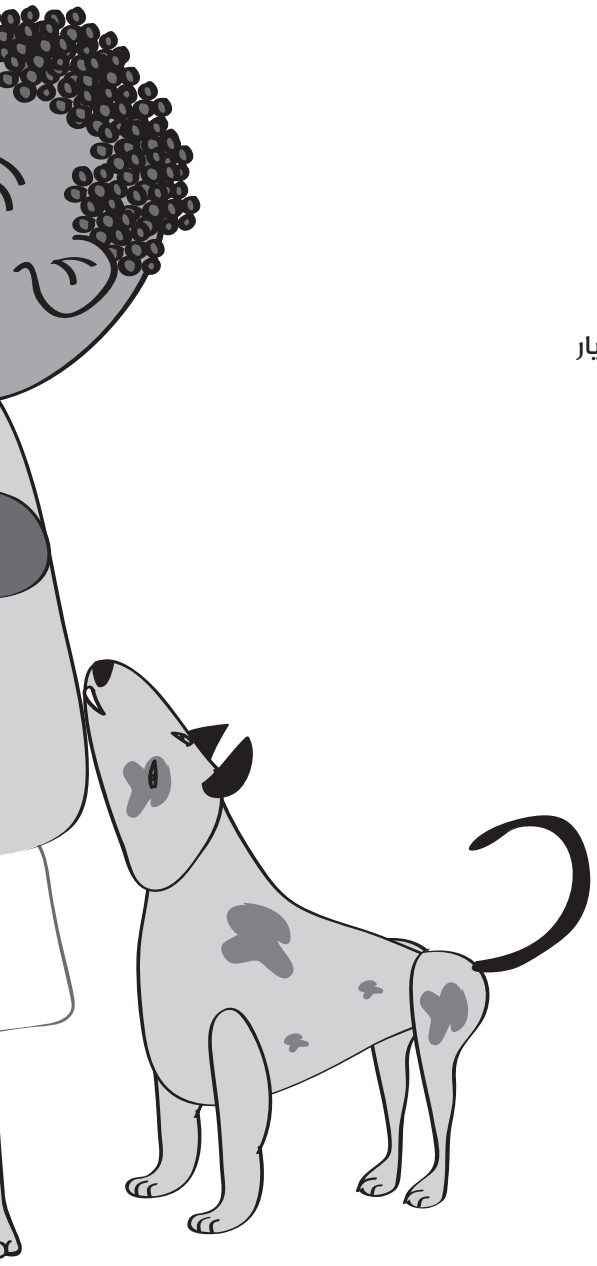

قصص للأطفال

العيد والأرجوحة

••

نجيب كيالي

••

الناشر
الشركة السودانية للهاتف السيار
(زين)

••

الرسومات
مظفر رمضان سعيد

••

تصميم وطباعة
دار مدارك للطباعة والنشر

••

يُحظر:
النقل أوالاقتباس
إلاّ بإذنٍ من الناشر

••

الطبعة الأولي
٢٠١٦

••

رقم الايداع
٢٠١٦/٧٤٦ م

المحتوى

قصص جميل	
الربيع السَّاحر	٥
العيد والأرجوحة	١٠
شجرة البرتقال	١٤
دخان في المطبخ	١٩
أمير بين الأطفال	٢٤
دموع الجارة	٣٠
فوقَ الدراجة	٣٤
السَّيف والأصدقاء	٣٩
قصص أخرى	
قُبَّعة في السَّماء	٤٧
الخروف الصغير	٥٠

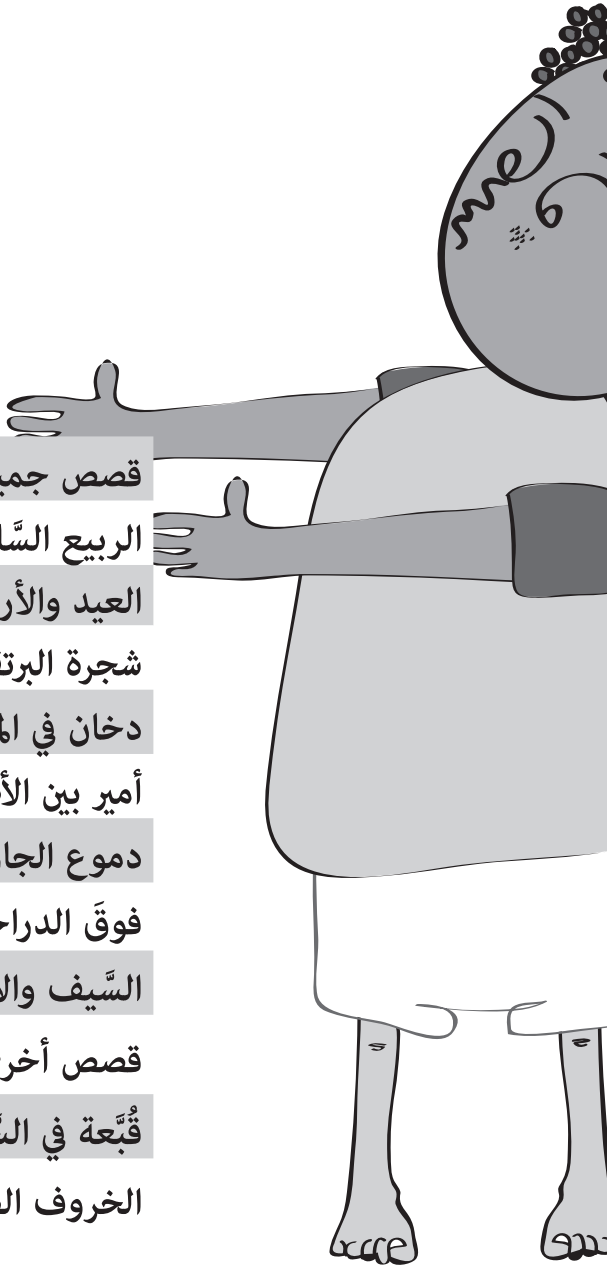

قصص جميل

الربيـع السَّاحر

فَرِحَ (جميلٌ) وأصدقاؤهُ بفصلِ الربيع الذي جعلَ الأرضَ مُلوَّنةً كجناحِ الفراشة، لكنهم حينَ خرجوا للنزهة أحزنَهُمْ أنَّ قطعةً من الأرض القريبةِ من بيت جميل بدتْ جرداءَ من ألوانِ الربيع وجمالِه.

وقفوا ينظرونَ إليها، ويُفكِّرون في أمرها.

قالت القطةُ دَيْدَبَانة وهي تحكُّ أذنَها بقائمتها:

- لا بدَّ أنَّ حماراً نَهِماً أكلَ الحشائشَ والأزهار من هذه الأرضِ المسكينة.

قالَ جميل:

- لا يستطيعُ حمارٌ واحد أنْ يأكلَ الخُضرةَ في أرضٍ كبيرة كهذه، وإلا انفجرَ بطنُهُ كبالوناتِ العيد.

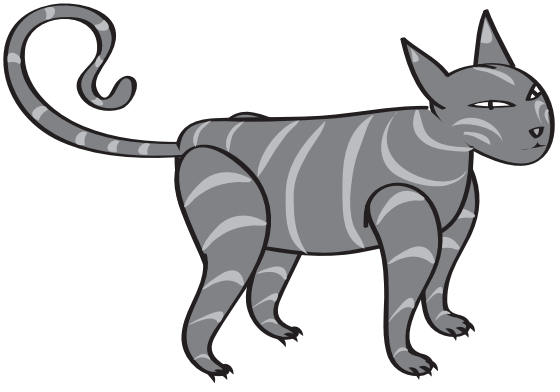

حكَّتْ هالةُ أختُ جميلٍ رأسَها، وقالت:

- لا تعرفون أين ذهبتِ الحشائشُ والأزهار؟

قال الجميع:

- لا نعرف. هل تعرفينَ أنتِ يا هالة؟

- يا أذكياء، إنها نائمة.

قال رَعْد صاحبُ جميل وهو ذو طبعٍ مشاكس:

- نائمة يا سلام! وأينَ تنامُ الأزهار؟

قالت هالةُ الصغيرة:
- تنامُ تحتَ الأرض، وحينَ تصحو تمدُّ رأسَها من التراب وتقول: أنا هنا، هييه.. هييه.
ضحكَ الجميع، ثمَّ تقدَّمَ الكلب شُوشُو إلى الأرض الجرداء متأملاً فيها، وعادَ قائلاً بصوته الحكيم:
- الربيع لم يأتِ إلى هذه الأرض أبداً.
قال جميل بفضول:
- كيفَ عرفت؟!
قال شُوشُو:
- لو أنَّ الحميرَ أكلتِ النباتات لبقيتْ جذورُها في الأرض على الأقل.
قال جميل وقد انعقدتْ عقدةُ التفكير فوقَ جبينه كالوردةِ الصغيرة:
- معكَ حقّ يا شُوشُو. نريدُ حلاً.
قال شُوشُو:
- فكِّروا حتى الغد، فربما نجدُ الحلّ.
سارَ الأصدقاء، وفجأةً وثبتْ دَيْدَبَانة إلى كتفِ جميل، ودغدغَتْهُ في رقبته، فقال:
- آهِ منكِ. اتركي اللعبَ الآن، وابحثي معنا عن حلّ يا عفريتة.
في اليوم الثاني جاءَ الأصدقاءُ إلى المكانِ نفسِه.
قال شوشو:
- هل وجدتُم حلاً؟
قال جميل:
- فكَّرتُ طوالَ النهار حتَّى وجدتُه.
قالت ديدبانة التي تجلسُ على ذنبها:

- ما هو يا جميل؟ قلْ بسرعة.

أجابَ جميل:

- نذهبُ إلى الربيعِ الطيِّب، ونرجوهُ أنْ يأتيَ إلى هذه الأرضِ الحزينة فما رأيُكم؟

صاحت دَيْدَبَانة:

- مياو.. ما أحلى أفكارَكَ يا جميل!

قال شُوشُو:

- فكرةٌ جيدة.

أمَّا رَعْد فقال متحدياً ومشاكساً كعادته:

- بل فكرةٌ مضحكة، فالربيعُ العظيم لن يقبلَ أنْ يتحدثَ معنا.

قالت هالة:

- أنا أرجوهُ، وأعطيه لعبتي أميرة حتى يَقْبل.

ضحكَ الأصدقاء، وقال جميل:

- تعالوا نجرِّبْ.

في الطريقِ إلى الربيع كان الأصدقاءُ قلقيـن، وقال لهم رَعْد أكثرَ من مرة: (ليتنا نرجع) مما زادَ قلقَهم، لكنهم حينَ وصلوا إلى الربيع وجدوهُ ضاحكاً، فرحَّبَ بهم، استمعَ إليهم، وقال:

- سآتي إلى الأرضِ الجرداء أيَّها الأصدقاء، ولكنْ بشرطٍ واحد.

سأله جميل بلهفة شديدة:

- ماهو شرطكَ أيَّها الربيعُ الساحر؟ ما هو؟

قال الربيعُ بصوتٍ عميق:

- أن تُهيِّئوا بيتي. إذا هيئتم بيتي آتي إلى الأرضِ الجرداء.

صنعَ الأصدقاءُ في اليوم الثاني خيمةً صغيرة من أكياسٍ قماشية قاموا بوصلها، وانتظروا أنْ

يأتيَ الربيع، وينزلَ فيها، ولكنه لم يأتِ! ذهبوا إليه مرةً ثانية، فقال لهم:
- أنا لا أسكنُ في الخيام. هيئوا لي بيتاً مناسباً.
بنى الأصدقاءُ بصعوبة بيتاً خشبياً صغيرَ الحجم، ولوَّنوهُ بالألوان الزاهية، غيرَ أنَّ الربيعَ لم يأتِ إليه أيضاً! فاضطروا أنْ يزوروه مرةً ثالثة، ويُعبِّروا عن دهشتهم لعدمِ حضوره، فقال لهم:
- معذرةً يا أصدقائي. أنا لستُ متكبراً، لكنَّ البيتَ الثاني الذي صنعتموه لي لا يناسبني كالبيت الأول.
قال جميل حائراً:
- ليتك تُخْبِرنا ما هو بيتُكَ أيها الربيع، فالقماشُ لم يعجبْكَ، وكذلك الخشـب!
قال الربيع مبتسماً:
- الذكيُّ يعرفُ بنفسـه ما هو بيتُ الربيع. أمَّا أنا فلا أخبركم.. لا أخبركم.
عادَ جميلٌ وأصدقاؤه حزينينَ جداً، وكاد اليأسُ أنْ يُصيبَهم لولا أنَّ جميلاً قفزَ فجأةً في الهواء، وصاحَ بفرح:
- بيتُ الربيع هو التراب. آه كيفَ لم ننتبهْ إلى أنَّ الأرضَ الجرداء مغطاةٌ بالحجارة.
قال شوشو:
- أحسنتَ يا جميل. ماعلينا إلا أنْ نُزيلَ الحجارةَ، فيظهرَ التراب، عندئذٍ يأتي الربيع.
تعاونَ الأصدقاءُ في إزالةِ الحجارة من الأرضِ الجرداء، ثمَّ نكشُوها بالفؤوس، وانتظروا أياماً، فإذا بالربيع يأتي راكباً عربةً مزينةً بآلاف الأزهار، والبلابلُ تغرِّدُ من حولها.
ابتسمَ لهم عندَ وصوله، وقال:
لقد أتيت، الربيعُ عندَ وعده.

العيد والأرجوحة

ركضَ (جميلٌ) معَ أصدقائه إلى طريقِ الضيعة ليرجوا العيدَ المسافر أنْ يبقى عندَهُم يوماً آخر.

جاءت سيارةٌ كبيرة، تحملُ الأراجيحَ، قال السائق:

- ابتعِدوا عن الطريق.

سألَهُ جميلٌ بلهفة:

أينَ العيد؟ ألمْ يركبْ معكَ في السيارة؟

ضحكَ السائقُ، وقال:

- العيد سافرَ منذُ قليل، ركبَ بالوناً، وطارَ به إلى نجمةٍ في السماء، ولن يعودَ إلا في العام القادم.

انطلقتِ السيارةُ، ورجعَ الأصدقاء، على وجوههم علاماتُ الحزن، أمَّا جميل فكان يُفكِّر طولَ الطريق، عرفوا ذلك من العقدة التي ترتسمُ فوقَ جبينه، كأنها الوردةُ الصغيرة.

فجأةً التفتَ إليهم، قال:

- وجدتُ طريقةً تجعلُ العيدَ يرجعُ إلينا.

قفزت القطةُ (دَيْدَبانة) إلى كتفِ جميل، قالت:

- أرجوكَ.. أرجعْهُ إلينا بسرعة.

رفعَ الكلب (شُوشُو) قائمتيه الأماميتين ناسياً وقارَهُ، ثمَّ حرَّكَ ذيلَهُ بفرح، وسأل جميلاً:

- هل حقاً يمكنُ أنْ يعود؟

قال رَعْد متحدياً كعادته:

- لا يستطيعُ جميل أنْ يُرجعَ العيد.. هذا ولدٌ أبله.

سرحتْ هالةُ بعينيها في نجوم المساء، صاحت:

- عرفتُ طريقتَكَ يا جميل.. ستركبُ طيارةً إلى النجمة التي سافرَ العيدُ إليها، وتطلبُ منه أنْ يعود.. انظروا.

نظرَ الجميعُ. كانت هالةُ تشير بيدها إلى نجمةٍ بعيدةٍ ترتعش، قالت البنت:

- تلك النجمةُ هي دارُ العيد، وأنا سأرسلُ إليه رسالة.

مدَّ رَعْدٌ لسانَه، وقال:

- قبلَ إرسالِ الرسائل يجبُ أنْ تتعلمي الكتابة!

قال جميل:

- اسمعوا يا أصدقاء.. فكَّرتُ كثيراً في العيد. إنه ملاكٌ رائع، لكنه مثلنا يحبُّ أنْ يلعبَ بالأراجيح، فإذا صنعنا له أرجوحةً، فربما ينزلُ من نجمته.

قالت دَيْدبانة، وهي ما تزالُ على كتف جميل:

- أنتَ ذكيٌّ جداً، مياو.. مياو.. مياو!

عادَ الوقارُ إلى شوشو، فقال:

- فكرةٌ جيدة، لكنْ.. هل نستطيعُ أنْ نصنعَ الأرجوحة؟ أنا قليلُ الخبرة في الأراجيح.

قال جميل:

- سأسألُ عن ذلك. غداً بعدَ الظهر نحاولُ أنْ نصنعَها.

في اليوم الثاني اجتمعَ الأصدقاء، قال جميل:

- الأرجوحةُ يصنعونها من الحديد، وليس عندنا حديد.
ضحكَ رَعْدٌ ضحكةَ المنتصر، قال:
ألمْ أقلْ: إنكَ لا تستطيعُ أنْ تُرجعَ العيد.
قال جميل:
- نصنعُ الأرجوحةَ من غيرِ الحديد.
جرَّبَ الأصدقاءُ أنْ يصنعوها أولَ مرة من القصب، فانكسرتْ، ووقعتْ دَيْدبانة التي ركبَتْها على الأرض، ثمَّ صنعوها من الأخشاب في يومٍ آخر، فانكسرتْ أيضاً، لأنها لم تُثبَّتْ جيداً، وجُرحتْ يدُ جميل جرحاً صغيراً، قال شوشو:
- أَكْثِرُوا من المسامير كما يفعلُ النجار.
بعدَ محاولات نجحَ الأصدقاءُ في صُنْعِ الأرجوحة، لم تكنْ مثلَ أرجوحةِ العيد حقاً.. إنها مجردُ حبلٍ مُعلَّقٍ على عمود، والحبلُ يحملُ قطعاً خشبيةً متلاصقة بالمسامير على شكل كرسي، لكنها كانت كافيةً لإسعادهم، راحوا يركبونها واحداً واحداً، ويغنون:
((طيري يا أرجوحةْ طيري))
جاءَ أطفالٌ آخرون، فصنعوا أرجوحةً أخرى، ثمَّ كَثُرت الأراجيح، وارتفعَ صياحُ الأطفال، فجأةً ظهرَ وجهٌ رائعٌ في السماء، نظرَ الجميعُ إليه، صاحَ جميل:
ياه.. لقد رجعَ العيد.. نزلَ من نجمته!

شجرة البرتقال

غضبتْ (أمُّ جميلٍ) من شجرةِ البرتقال في حديقتهم، لأنها لم تُزهرْ في فصل الربيع.

قالت الأم:

- آه.. ماذا أفعلُ بكِ ؟!

سألها (جميلٌ) بفضول:

- ماما.. هل شجرتُنا بخيلة؟

- بخيلة، وبليدة جداً يا جميل، لكنني سأتدبَّرُ أمرَها.

وذاتَ يوم رجعت الأم من زيارة الجدة، فرآها جميل تحملُ فأساً، وتهجمُ به على الشجرة صائحةً مُهدِّدة:

- اسمعي يا بليدة.. كما حملتُ أنا الأطفالَ يجبُ أنْ تحملي أنتِ الأزهار، وإلا قطعتُكِ.

كانت الأسرةُ كلُّها تراقبُ الأم، قال الأب:

- ما هذه القسوة ؟! تُهدِّدين الشجرة!

ردَّت الأم:

- هذه طريقةٌ قديمة مجرَّبة، حدَّثتني عنها أمي.

التصقتْ هالةُ التي تحملُ دميتَها بأخيها جميل، وتخيَّلَ جميل أنه كان زهرةً ذاتَ يوم. أمَّا الكلب (شُوشُو) فلاحتْ في عينيه نظرةٌ ساخرة، كأنه متفقٌ في الرأي معَ الأب. (دَيْدَبانة) قطةُ

البيت لم تلبثْ أنْ جرَّتْ ذنبَها الطويل، وانطلقتْ تنشرُ الخبرَ في الضيعة. إنها ثرثارة لاهية.
خرجَ جميلٌ من البيت في اليوم الثاني، ومن عادته أنْ يَخرج للَّعبِ أو النزهة معَ أصدقائه: رَعْد، وهالة، وشُوشُو، ودَيْدبانة. كانَ الجميعُ حاضرين معَهُ ماعدا شُوشُو الذي انطلقَ منذُ الصباح في رحلةٍ إلى الحقول البعيدة. حكى جميل ما جرى لصديقه رَعْد، وهذا طفلٌ يحبُّ المشاكسةَ والتحدي، قال رَعْد:

- اسكتْ. من أين اخترعتَ هذه القصة ؟!

قال جميل مشيراً إلى هالة وديدبانة:

- اسألهما. لقد كانتا حاضرتين.

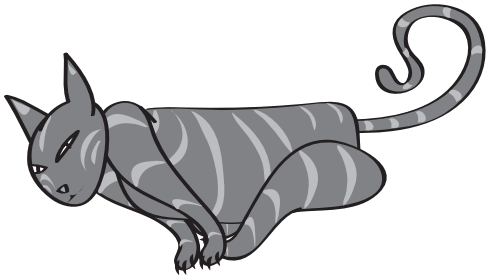

قال الاثنتان:

- نعم. رأينا ذلك بأعيننا يا رَعْد.

لوى رَعْدٌ فمَهُ، ثمَّ تساءلَ ساخراً:

- وهل هذه طريقة ناجحة؟

قال جميل:

- أنا مثلك أريدُ أنْ أعرف.

صمتَ جميل، وهو ولدٌ كثيرُ التفكير، وحينَ يُفكِّر تظهرُ عقدةٌ فوقَ جبينه كالوردة الصغيرة، قالَ بعدَ قليل:

- عندي فكرة: تعالوا نبحثُ في الحقول عن شجرةٍ غيرِ مزهرة، ونجرِّبُ طريقةَ أمي.

صاحَ الأصدقاءُ متحمسين للَّعب:

- نعم.. هيَّا.

اندفعَ كلٌّ منهم يبحثُ أولاً عن فأس أو عصا يستعملها في التجربة. أثناءَ ذلك كانت القطةُ دَيْدبانة تتوقفُ هنا وهناك، وتنشرُ الخبرَ الجديد، فلحقَ بجميلٍ أطفالٌ آخرون سمعوا

بالخبر منها، والنتيجة: سيطرَ حبُّ اللعب على الأطفال جميعاً، فهجمُوا حتى على الأشجار المزهرة، هَدَّدوها وضربوها بالعيدان والفؤوس. فجأةً صاحَ جميل بهم:
- قفوا.. سمعتُ أمي تقول: كما حملتُ أنا الأطفال احملي أنتِ الأزهار.
سألَهُ طفلٌ لاهثاً:
- ما معنى ذلك؟
قال جميل:
- معناه: يجبُ أنْ ننفخَ بطونَنا.. حتى تُصدِّقَ الأشجارُ أننا أمهات. هيَّا انفخوا بطونَكم.
نفخَ الأطفالُ بطونَهم.. كلٌّ بطريقته الخاصة: بعضُهم دفعَ بطنَهُ إلى الأمام، بعضُهم وضعَ كرةً تحتَ القميص، وهجمُوا على الأشجار مرةً ثانية.
كانت ديدبانةُ أكثرَهُم حماساً لولعها باللعب، فكانوا يَرَوْنَها تنطُّ من شجرة إلى شجرة، وتصيح:
- اضربْ هنا.. اضربْ هنا.
وقد وثبتْ مرةً إلى شجرة، فعلقَ ذنبُها بينَ الأغصان وتدلَّى جسمُها نحوَ الأسفل إلى أنْ جاء جميل، فأنقذها، وفي مرة أخرى أصابَها طفلٌ بعصاه على رجلها، فجعَلَها تعرج، ورآها رَعْد، فقال ضاحكاً:
- يلزمكِ عكاز أيتها القطة ديدبانة.
انسحبتْ هالةُ من الهجوم، وحينَ رجعَ الأصدقاء قالت لهم متألمة:
- لقد زعلتْ منكم الأشجار، وبكتْ كثيراً.
سألها جميل:
- بكتْ! الأشجارُ مخلوقاتٌ بليدة. مَنْ رآها تبكي؟
- أنا ولعبتي (أميرة). اسألها.

نظرَ جميل إلى الدمية التي تحملُها هالة معَها إلى كلِّ مكان، فرآها حزينة، فأحسَّ هو الآخر بالحزن، وشعرَ أنَّ التجربةَ التي قاموا بها فشلتْ، كذلك قال رعد متحدياً:

- لقد فشلتْ فكرتُكَ يا جميل.

لمعتْ عينا جميل، وصاح:

- شُوشُو! كيفَ نسيناه ؟! عندما يعود أسألُهُ عن رأيه في طريقةِ أمي. إنه يتجولُ دائماً، ولديه معارفُ كثيرة.

قال شُوشُو لجميل، وكان متمدداً أمامَ البيت بعدَ أنْ رجعَ من رحلته:

- لن تُزهرَ شجرةُ البرتقال يا جميل.. لن تُزهرَ أبداً، إنها مريضة، والمريضُ بحاجة إلى دواء.

هتفَ جميل:

- إنها بليدة.

- لا يا جميل. الشجرةُ مخلوقٌ حساس جداً، ولها قلبٌ كبير.

فُوجئ جميلٌ بعدَ أيام عندما رأى على شجرة البرتقال أزهاراً كالنجوم الصغيرة! احتارَ الولد كثيراً: كيفَ أزهرتِ الشجرةُ بعدَ ما قاله شوشو؟! استلقى تحتَها، وراح يسألُ نفسَهُ، ويسألها:

- هل كلامُ شوشو غَلَطٌ إذن؟ هل..

فجأةً اهتزتْ أغصانُ شجرة البرتقال، وسمعَ صوتاً في أعلاها يقول:

- اسمعْ يا جميل: أنا مريضة مثلما قال لك شُوشُو. انظرْ إلى أوراقي الصفراء، لكني تحاملتُ على نفسي، وأزهرتُ مرةً واحدة إكراماً لأمك. صحيحٌ أنها كانت قاسيةً عليّ ، لكنها ذكَّرَتْني بأنها أمُّ حملتِ الأطفال. آه .. كيفَ أردُّها خائبة!

قام جميل مأخوذاً بلطف الشجرة، فهزَّ غصناً منها، وكأنه يُربِّتُ عليها، قال:

- منذُ الغد سأبحثُ لكِ معَ أبي وأصدقائي عن دواء حتى تُزهري كلَّ عام.

ضحكت الشجرة، ورشَّتْ فوقَهُ حفنةً من أزهارها.

دخان في المطبخ

كم يحبُّ (جميل) الدبسَ والطحينة! واليوم سمعَ أنَّ الطحينةَ يصنعونها من السمسم.
في المساء رجا أمَّهُ أنْ تطعمَهُ صحناً منها معَ الدبس، فقالت الأم:
- عندنا دبس، وليس عندنا طحينة.
صرخَ جميلٌ فَرِحاً:
- ماما.. هاتي سمسماً، وأنا أصنعُ طحينة.
لوَّحت الأمُّ بيدها مُهدِّدة، فهربَ جميل يقفزُ مثلَ قردٍ في غابة! في اليوم الثاني كانَ يلعبُ معَ شُوشُو ودَيْدَبانة وهالة ورَعْد، فتذكَّرَ حكايةَ الطحينة، قال لأصدقائه:
- هل تحبونَ الدبـس؟
صاحَ الجميع:
- يـاه.. ما أحلاه!
- وما رأيُكم بالطحينة؟
ردَّ الأصدقاء:
- طيِّبة جداً معَ الدبس!
قال جميل:
- في بيتنا دبس بلا طحينة. لو أحضرتم لي سمسماً صنعتُ لكم طحينة.
قال الكلب شُوشُو:

- نشتري سمسماً من السوق.
نظرَ جميلٌ إليه متعجباً، قال:
- ألا تعلمُ أنَّ جيوبنا خاليةٌ من النقود ؟!
نطَّت القطةُ دَيْدبانة، وكأنها قبضتْ على فأرٍ، صاحتْ:
- من الكعك، الفرَّانُ يضعُ السمسمَ على قِطَعِ الكعك. ألمْ تُفكِّروا في ذلك؟!
قال شُوشُو بسخرية:
- يا لكِ من ذكية! ألم تُفكِّري في أنَّ كيساً كبيراً من الكعك ليس فيه إلا قليلٌ من السمسم؟!
قالت هالةُ الصغيرة، وعيناها تنظرانِ إلى البعيد:
- إذا انتظرتم فأنا آتيكم بالسمسم.
سألوها بلهفة:
- ماذا ننتظر؟
- الشتاء. في الشتاء يهطلُ سمسمٌ أبيضُ في كلِّ مكان.
ضحكوا جميعاً، قالوا:
- تقصدين الثلجَ يا هالة! يا لكِ من ظريفة!
قفزَ رَعْد إلى وسط الجماعة، قالَ متحدياً ساخراً:
- لا تتعبوا أنفسكم بالبحث عن السمسم. جميلٌ هذا لا يعرفُ أنْ يغلي ماءً، فكيفَ يصنعُ طحينة!
وذاتَ يوم جاء الأب يحملُ كيساً، قال لأم جميل:
- هذا زعتر فوقَهُ كميةٌ من السمسم، اخلطي بعضَهما ببعض، سنأكلُ زيتاً وزعتراً على العشاء.
ملأتِ الأمُّ الزعترَ والسمسم في علبةٍ زجاجية بعدَ أنْ خلطَتْهما، وما إنْ غادرت البيتَ معَ

الأب لزيارة الأقارب حتى أسرعَ جميلٌ إلى المطبخ، تتبعُهُ دَيْدبانة، نظرَ الولدُ إلى خليط الزعتر والسمسم، قال:

- آه.. أيُّ شيطانٍ يستطيعُ فصلَهما الآن؟!

قالت دَيْدبانةُ بخبث:

- يفصلهما هذا المنخلُ المُعلَّقُ على مسمار.

انفصلَ الزعترُ عن السمسم بفضلِ المنخل، لكنَّ جميلاً وقفَ حائراً.. إنه في الحقيقة لا يعرفُ كيفَ يصنعُ الطحينة! قال لديدبانة:

- سأضعُ السمسمَ في إناء، وأشعلُ النارَ تحتَهُ.

قالت ديدبانة:

- أضفْ إليه سُكَّراً.. كثيراً من السكر.

بعدَ قليل انبعثَ الدخان، فاندفعتْ ديدبانة لتسحبَ الإناء من فوقِ النار فعلقَ ذنبُها بالسكر الذي صار لَزِجاً! صرخت القطة متألمة:

- ميـاو!

أسرعَ جميل لينقذَها، فالتصقتْ يده بذنبها! فأطلقا معاً صيحةَ استغاثة، جاءهما شُوشُو لاهثاً، ولحقَتْهُ هالة. أطفأتْ هالةُ النار بينما أخذَ شوشو يُفكِّر: كيف سيفصلُ ذنبَ ديدبانة عن يدِ جميل؟!

في المـساء لم يجدِ الأبُ سمسماً في صحن الزعتر على العشاء! فغضبَ، وسأل الأم:

- هل طارَ السمسم ؟

تعجبتِ الأمُّ، وتساءلتْ أيضاً:

- هل طارَ السمسم؟

ثمَّ ظهرت الحقيقة، كَشَفَها ذنبُ ديدبانة المحروق، والإناءُ الملوَّثُ بالسـكر والسمسم،

فجميل لم يتمكنْ من تنظيفه جيداً، دَعَكَ الأبُ أُذنَ ولده اليمنى، كذلك دعكت الأمُّ أذنَهُ اليسرى، فصارت أذنا جميل كعلَمينِ صغيرينِ أحمرين!

وفي أحدِ الأيام كانَ الأصدقاءُ يسيرونَ في الدروب، فجأةً هتفَ جميل:

- انظروا.. ما هذا ؟!

نظرَ الأصدقاءُ إلى الأرض، رأَوْا حبلاً رفيعاً متصلاً من السمسم! قال شُوشُو:

- لا بدَّ أنَّ كيساً مثقوباً مملوءاً بالسمسم صنعَ هذا الحبل.

تَبِعَ الأصدقاءُ حبلَ السمسم، فوصلوا إلى مكانٍ كبير، اسمُهُ: (المعصرة)، تفرَّجوا عليه، وهناكَ عرفوا أنه لا بدَّ من نَقْعِ السمسم في الماء، وقَشْرِهِ، وطَحْنِهِ حتى يصيرَ طحينة.

في طريقِ العودة قال شُوشُو:

- هل ارتحتَ يا جميل؟

قالَ جميل:

- نعم، وليتني أعرف كيفَ يصنعونَ الدبس.

أميـر بين الأطفال

هطلَ الثلجُ ذاتَ شتاء، وغَزَلَ للبيوت والبساتين عباءةً بيضاءَ رائعة.. حتى أعمدةُ الكهرباء تركَ على رؤوسها قُبَّعاتٍ ثلجيةً صغيرة.

اندفعَ الناسُ إلى الطبيعة، وخرجَ الأصدقاءُ الخمسة: جميل، ورَعْد، وهالة، وديدبانة، وشوشو يتفرجونَ، ويلعبون. تعبوا بعدَ أنْ تقاذفوا طويلاً بكرات الثلج، فوقفوا للاستراحة، قالَ جميل وهو يلهث:

- عندي فكرة.

تناولَ رَعْد قبضةً من الثلج، وقذفَهُ بها قائلاً:

- اسكتْ. نريدُ أنْ نلعب.

قالَ جميل وفوقَ فمِهِ شاربانِ من الثلج صنعَتْهما ضربةُ رَعْد:

- ما رأيُكم أنْ نصنعَ طفلاً من الثلج، فنصبحَ ستةَ أصدقاء؟

تناولَ رَعْدٌ قبضةً ثانية من الثلج، رماهُ بها، وقال:

- ذلك أمرٌ صعب.

سألَهُ جميل مُفكِّراً:

- لماذا لا نجرِّبُ يا رَعْد؟

قال رعد:

- لن نجرِّبَ. خُذْ.

ورماهُ مرةً ثالثة بالثلج، فبدأتْ معركةٌ بينَ الاثنين، ما لبثَ الجميعُ أن اشتركوا فيها، ثمَّ تعبوا، فوقفوا من جديد. قالَ الكلب شُوشُو والثلجُ حولَ عينيه كنظَّارةٍ بيضاء:

- آه يا رَعْد كم تحبُّ المشاكسة! فكرةُ جميل حلوةٌ جداً. ليتنا نبدأ بتنفيذها.

اندفعت القطةُ دَيْدبانة من بينِ قوائم شُوشُو، وصاحت:

- أنا معَ جميل أيضاً. نصنعُ طفلاً من الثلج. ياه ما أحلاه!

قالت هالةُ أختُ جميل الصغيرة:

- نعم. هيَّا نبدأ، بسرعة أرجوكم.

سألها رَعْد ساخراً:

- ولماذا أنتِ مستعجلة يا هالة؟!

قالت هالةُ مشيرةً إلى دميتها التي اصطحبَتْها معها كي تتفرجَ على الثلج:

- لعبتي (أميرة) ستُغنِّي له قبلَ أنْ تنام.

بدأ الأصدقاءُ العملَ، وكان رَعْد يشاكسهم في البداية، لكنه سرعانَ ما اندمجَ معهم في صناعةِ التمثال. صنعوا أولاً الجزءَ الأسفلَ من التمثال، ثمَّ بنَوْا بطنَهُ وصدرَهُ، وابتعدوا لينظروا إليه، فإذا به يسـقطُ متحطماً! ضحكَ رَعْد، وقال:

- ألمْ أقلْ لك يا جميل هذا أمرٌ صعب؟!

راحَ جميل ينظرُ إلى حطام التمثال، وقد ظهرتْ عقدةُ التفكير على جبينه كالوردةِ الصغيرة. أمَّا الآخرون فكانوا حزينـين جداً. قال شُوشُو بعدَ تفكيرٍ عميق:

- لقد سقطَ التمثالُ لأننا لم نضغط الثلجَ جيداً.

ردَّ جميل:

- حقاً يا شوشو الحكيم.. حقاً.

قال شُوشُو:

- وألاحظُ أنَّ الأرضَ مائلةٌ أيضاً.
صاحَ جميل:
- تعالوا لنختارَ مكاناً مستوياً، ثمَّ نصنعَ تمثالاً جديداً.
نجحَ الأصدقاءُ في صناعةِ التمثال هذه المرة، لكنه بدا ناقصاً. قالت هالة:
- أينَ أذناه؟ حينَ تُغني له (أميرة) لن يسمعَ غناءَها.
وفي الحال صنعوا له أذنين. وَثَبَتْ دَيْدبانة، وجلستْ أمامَهُ على ذنبها ناظرةً إلى وجهه، وفجأةً صاحت:
- أين عيناه ليرى بهما رشاقتي؟
وقال رَعْد:
أينَ أنفُه؟
فكَّرَ جميل قليلاً، ثمَّ قال:
- انتظروني، سأعودُ حالاً.
ركضَ نحوَ بيتهم، وعادَ يحملُ في يده حبتَيْ عطُّون (زيتون أسود)، وجزرةً صغيرة. سألَهُ رَعْد:
- هل هذا طعامٌ لصديقنا التمثال؟
قال جميل:
- انظرْ.
غرسَ الحبتين في مكانِ العينين، والجزرةَ في مكانِ الأنف، فإذا بالجميع يصيحون:
- ياه ما أحلاه! لقد صار طفلاً رائعاً حقاً!
سألهم جميل:
- ماذا سنسميه؟

صاحت هالة:
- أميرَ الثلج.
قال شُوشُو:
- معكِ حق إنه أحلى منا جميعاً.
اندفعَ الأصدقاءُ يلعبون معَ أمير الثلج، ويُغنّون له بمرح وسرور، وكان يشاركهم سعيداً بصداقتهم، وفي المساء عادَ الأصدقاءُ إلى بيوتهم بعدَ أنْ ودَّعُوا الأمير، وقد قالت له هالة مرتين:
- تصبحُ على خير.
جاؤوا في الصباح، وكانت الشمسُ مشرقةً تنشرُ دفئاً وحناناً، نظروا إلى مكانِ الأمير، فوجدوه خالياً! ارتجفَ صوتُ جميل وهو يقول:
- آه.. أميرُ الثلج ليس هنا!
قالت هالة:
- ربما اختبأ وراءَ شجرة ليلعبَ معنا.
ركضوا يفتشون وراءَ الأشجار، فلم يعثروا عليه. فجأةً سمعوا ضحكةً في السماء، رفعوا رؤوسَهم، رأَوْا الشمسَ مستغرقةً في ضحكٍ طويل. سألها شُوشُو:
- لماذا تضحكينَ أيتها الشمس؟
ردَّتِ الشمس:
- لأنكم تبحثون عن الأمير الذي أخذتُه أنا.
صاحَ جميل:
- أنتِ أخذتِ أميرَ الثلج! إلى أين؟ دلينا على مكانه. أرجوكِ.
قالت الشمس:

- أخذتُه إلى مكانٍ آخرَ من العالم ليلعبَ معَهُ أطفالٌ آخرون. ألا تُصدِّقون؟ أغمضوا أعينَكم، واستمعوا إلى أغنيتهم القادمة من البعيد.

أغمضَ الأصدقاءُ أعينَهم، وأرهفوا آذانَهم، فسمعوا أغنيةً رائعة تُدغدغُ قلوبَهم.

فتحَ جميلٌ عينيه، وسألَ الشمس:

- ولكنْ.. ألن يعودَ الأمير؟ ألن نراهُ مرةً ثانية؟

ابتسمت الشمس قائلة:

- سيزوركم في الشتاء القادم، فانتظروه.

وعادتْ تضحك.

دموعُ الجارة

بكتْ جارةُ جميلٍ حينَ أضاعتْ خروفَها. فجأةً انتبهَ الولدُ إلى أمرٍ غريب: دموعُ الجارةِ لونُها أسود!

احتارَ جميل، وانعقدتْ عقدةُ التفكير فوقَ جبينه كالوردةِ الصغيرة، ثمَّ حاولَ أنْ يبكي ليتأكدَ من لونِ دموعه، فلم يستطعِ البكاء. بحثَ عن أخته (هالة)، فوجدها معَ دميتها تُغني لها: (نامي يا حلوةْ نامي).

خطفَ الدميةَ، وبعثرَ شعرَها المصفَّف، فإذا هالةُ تُخبِّئ وجهَها وراءَ ذراعها، وتبكي، سحبَ ذراعَها، ونظر:

- ياه.. دموعُها بيضاء!

عندَ العصر خرجَ يلعبُ بالكرة، وقعَ أحدُ رفاقه على الأرض، فتمزَّقَ سرواله، وأخذَ يبكي، تأمَّلَ جميلٌ دموعَهُ، صاحَ مندهشاً:

- دموعُكَ بيضاء!

قال صديقُهُ رَعْد:

- الدموعُ كلُّها بيضاء.

- لا.. يا رَعْد، جارتُنا دموعُها سوداء.

هتفَ رَعْد:

- إنْ كانَ عندك دليل أطعمتُكَ البوظة من خرجيَّتي.

فكَّرَ جميل قليلاً، ثمَّ قالَ لنفسه: (آه.. أقوى دليل هو منديلُ جارتنا الذي تمسحُ به دموعَها، لكنْ كيفَ أحصلُ عليه؟!)

طلبَ من كلبه (شُوشُو) أنْ يأتي بالمنديل، قال الكلب:

- كيف أمدُّ يدي إلى مناديل الآخرين!

طلبَ من قطتهم (ديدبانة) أنْ تأتي به - وهذه يصفُها شُوشُو بأنها هوجاء - فقالت:

- سآتيكَ به غداً. الجارةُ تضعُهُ بجانبها على البساط.

في اليوم الثاني اجتمعَ الأصدقاء: جميل، ورَعْد، وهالة، وشُوشُو ينتظرون قدومَ ديدبانة. نظرَ جميل إلى المنديلِ الذي جاءت به القطة، فرآهُ مصنوعاً من القماش، وفي جوانبه أزهارٌ مطرَّزةٌ عليه، وما أشدَّ فرحَهُ حينَ وجدَ فيه بقعاً سوداء! صاحَ بسرور:

- هذه دموعُ الجارة سوداءُ يا أصدقائي!

انتصرَ جميل على رَعْد، وأكلَ البوظة. نظرَ الأصدقاءُ حائرين. قال رَعْد بغيظ:

- نحن لم نفهمْ سرَّ الدموع السوداء!

قال جميل وهو يمضغُ آخرَ قطعة من البوظة:

- أنا مثلُكم مشتاقٌ جداً لمعرفة ذلك. هل تعرفُ سرَّها يا شُوشُو؟

قال الكلبُ بتواضع:

- أنا لا أعرفُ كلَّ شيء، لكنْ تعالَوا نذهبْ إلى صديقتي الحمامة، ونسألها فربما تعرف. إنها تطيرُ إلى كلِّ مكان، وتفهمُ حتى كلامَ الشعراء.

انطلقَ الأصدقاءُ مسرعين بينَ البساتين، وعندما وصلوا إلى الشجرة التي تسكنُها صديقةُ شُوشُو، رفرفت الحمامة على غصنها مرحِّبةً بهم، واستمعتْ إلى سؤالهم، فقالت:

- الدموعُ السوداء.. آهٍ منها يا أصدقاء، لا يقولون هذا الكلامَ إلا في الشعر، إنه مجردُ خيال، معناهُ: أنَّ الشاعرَ حزينٌ جداً. اسمعوا.. سأغني لكم ما قالَهُ أحدُ الشعراء.

صمتت الحمامة قليلاً، ثمَّ راحتْ تغني:

(صرتُ أبكي بأدمعٍ سوداءْ

صدِّقوني يا أيُّها الأصدقاءْ)

تأثَّرَ الأصدقاءُ بغناء الحمامة، وبكتْ هالة، لكنَّ جميلاً قال:

- أنا لستُ شاعراً أيتها الحمامة، وقد رأيتُ دموعاً حقيقيةً سوداء في عينِ الجارة، وعلى منديلها.

قالت الحمامة ضاحكة:

- هذا من أثرِ الكحل الذي تُزيِّنُ به النساءُ عيونَهن.

في أحدِ الأعوام أتلفَ الجرادُ محاصيلَ الفلاحين في ضيعةِ جميل، فبكَوْا جميعاً بألمٍ شديد، نظرَ جميلٌ إلى عيونهم، فتخيَّلَ دموعَهم سوداءَ، كما وصفَ الشاعر.

فوقَ الدرَّاجة

خطفَ (رَعْـدٌ) درَّاجةَ صديقِهِ (جميل) عندَ الغروب!
ركضَ بها كمجنون تَلْحقُهُ عفريتةٌ صغيرة هي: القطةُ (دَيْدبانة)!
كانَ رَعْد لا يعرفُ ركوبَ الدرَّاجة!
الشمسُ البرتقالية أخذتْ تضحكُ من طريقةِ قيادتِهِ لها، فهو يميلُ بها يميناً، يساراً، وقبلَ أنْ يقعَ يقفزُ من فوقِها كقرد!
مرةً أو مرتين أسندَها إلى حافَّةِ الطريق المغطاةِ بالعشب، نَفَخَ وَزَفَر، نظرَ إليها متسائلاً وأطرافُ قميصه خارجَ بنطاله: (لماذا أنتِ عنيدة؟! ألا تحبينَ أنْ يركبَكِ ولدٌ مثلي؟!)
وصلَ إلى رأسِ طريقٍ مُنْحَدِر، ظنَّ أنَّ الانحدارَ سيساعدُهُ على التوازن، لكنَّ أمراً سيئاً حصل.
امتلأَ الهواءُ فجأةً بصوتِ دَيْدبانة، جاءَ الصوتُ بنغمةٍ غريبة: (مِيْ ياو.. مِيْ ياو)، كأنهُ بوقُ سيارة الإسعاف!
كان أصدقاؤه: جميلٌ، هالةُ، شُوشُو في مكانٍ قريب، سألوها:
- ماذا جرى؟
قالت دَيْدبانة وهي تنطُّ وتَدُوْر:
وقعَ رعد، وانجرحتْ ساقُه!
تذكَّرَ الأصدقاءُ بسرعة ما فعلَهُ صديقُهم.. فقبلَ قليل جاءَ جميل ومعَهُ دراجةٌ صغيرة،

هنَّأهُ بها الكلب: شُوشُو، والقطة: دَيْدبانة، وهالةُ ذاتُ العينين الحالمتين. أمَّا رعد المحبُّ للمشاكسة فبعدَ أنْ لَمَسَها وشمَّها كأنها زهرة، دفعَ جميلاً دفعةً مفاجئة، وانطلقَ بها!
نسيَ جميلٌ غضَبهُ، ركضَ مع الأصدقاء لرؤية صديقهم، يرافقُهم صوتُ القطة: (مِيْ ياو.. ميْ ياو).
وصلوا لاهثين، فوجدوا مُصابَيْنِ فوق الأرض: هما رَعْدٌ والدراجة.. الدراجةُ مرفوعةُ العجلة، ملتويةُ المقود تئنُّ بصوتٍ مخنوق، ورعدٌ بالقرب منها، ساقُهُ ممدودةٌ كعودٍ من الحطب، ومن فمه تخرجُ أنَّاتٌ مسموعة.
تعلَّقتِ العيونُ بساق رعد المغطاةِ بالخدوش وخيوطِ الدم، ارتجفت القلوبُ الصغيرة، وملأتِ الرؤوسَ فكرةٌ واحدة: ماذا نفعلُ لمساعدةِ صديقنا؟
قالَ جميل، وقد ظهرتْ عقدةُ التفكير فوقَ جبينه كوردةٍ صغيرة:
لو كانَ معنا قطن لفعلنا كما تفعلُ أمي تَمْسحُ الجرح، وتُغطِّيه.
تمتمتْ هالةُ ببراءة:
أنا أعرفُ عملَ الممرضة. هاتوا لي ثوباً أبيضَ لأداويه.
ابتسمَ الجميعُ رغمَ حزنهم، بينما قرَّبَ شُوشُو عينيه من الساق، قالَ بصوته الحكيم:
- الساقُ تحملُ الجسمَ كلَّه، لو كان مصاباً في يده لَهَانَ الأمر.
هجمتْ دَيْدبانةُ على رعد ومعَها عودٌ صغير، قالت مُؤنِّبة وكأنها نسيتْ فرحَها بالذهاب معَهُ عندما خطفَ الدراجة:
- قلْ لي ماذا أفعلُ بك؟ هل أَشُككَ إبرة؟ أم أجرُّكَ بذنبي إلى البيت؟ أم نُخْبِرُ أباك، فيأتي ويأخذكَ إلى الطبيب؟
اعترضَ رعد:
لا. أرجوكم.. أبي لا تقولوا له شيئاً، سيغضبُ جداً مما فعلتُه.

ثمَّ اعترفَ لأصدقائه بأنه لا يعرفُ ركوبَ الدراجة، لكنه يحلمُ بذلك كثيراً، حتَّى إنه ملأَ الحيطانَ بصورِ الدراجات!

بدأ الليلُ يقترب، نظرَ جميلٌ إلى السماء بقلق، وفجأةً هتفتْ شفتاه:

خطرتْ لي فكرة: سُكَّر.. العم سُكَّر.

لم تفهمْ هالة ما علاقةُ السكَّر بساق رعد! أخذتْ تَلْحَسُ شفتيها..! أمَّا رعد فبدأتْ تتجمَّعُ في خياله كَقِطَعِ لعبة صورةُ رجلٍ سمينٍ جداً، رآهُ مرةً مع أبيه. الرجل يلبسُ ثوباً أبيض، ويمشي كبطَّة داخلَ دكانٍ مملوءٍ بالأدوية. وهو لطيفٌ معَ الأطفال.. فحينَ يرى أحدَهُم يقولُ مازحاً: هل صحيحٌ يا كتكتوت أنَّ ضحكتَكَ أصغرُ من ضحكتي؟ يتعجَّبُ الطفل، ثمَّ يتسابقان في الضحك!

بقيَ شُوشُو في حراسةِ الدراجة، ومضى الآخرونَ إلى صاحبِ الثوب الأبيض.. كان رَعْدٌ يمشي مستنداً بأحدِ ساعديه إلى كتفِ جميل، وبالآخرِ إلى كتفِ هالة، وساقُهُ المصابة مرفوعةٌ عن الأرض.

فوقَ بابِ (العم سُكَّر) لوحةٌ مكتوبٌ عليها: (صيدلية القرية).

بعدَ أنْ أخبروه بالحكاية من أوَّلها مدَّ قطعةً من القطن عليها سائلٌ أحمر، دَهَنَ بها الساق، وهو يقول:

- حالتُكَ بسيطة. امشِ عليها يا بطل.

أضافَ ناظراً في وجهِ رعد:

- أنتَ متألمٌ يا عفريت من شيءٍ أهمَّ من الإصابة هو.. (هأ.. هأ) الفشلُ في قيادةِ الدراجة. أليس صحيحاً؟

احمرَّ وجهُ رعد، مشى، و.. ضحكَ الأصدقاء.

ارتفعَ صوتُ (العم سكَّر) مُعلِّقاً على ضحكاتهم:

- لا.. لا. ما هذا؟! العصفورُ النائم يضحكُ أحسنَ منكم. هيَّا اسمعوا.. (وراح يضحكُ ضحكاتٍ كالزغردة).

في آخرِ الأمرِ ظهرتْ مشكلةٌ.. قدَّمَ (العم سُكَّر) تسعَ حباتٍ مجانيةً لرعد، يبلعُ ثلاثاً منها كلَّ يوم في أوقاتٍ محددة.

قلبَ رعدٌ شفتيه، قالَ عندما صارَ قريباً من بيتهم:

- آه يا ربي.. ماذا أفعل؟ أنا أنسى المواعيد، والدواءُ لا أستطيعُ أنْ آخذَهُ إلى البيت حتى لا يكتشفَ أبي ما حدث.

نفخَ جميل قائلاً:

- سأعودُ لإصلاحِ الدراجة، وبعدَ ذلك نُفتِّشُ لكَ عن حلّ.

لطيفاً ورشيقاً ومضحكاً كانَ الحلّ.. ففي الصباحِ والظُّهرِ والمساء، كانت دَيْدبانة تقومُ بدور الساعة، فتموءُ تحتَ نافذةِ رعد، تُذكِّرهُ بموعدِ الدواء، وعندما يفتح يُقدِّم له جميل حبةً من دوائه، بينما تهمسُ هالة: فيها العافية!

ولمَّا انكشفت الحكايةُ لوالدِ رعد ذاتَ مساء، اعتذرَ الأصدقاء، فسامحَهُمْ الرجل لطيبةِ قلوبِهم، لكنه قالَ مُحذِّراً:

- أصابعي تقولُ لي: إذا أخفيتُم عني شيئاً بعدَ اليوم فالويلُ لآذانكم، ستقبضُ عليها، وتجعلُها حمراء.

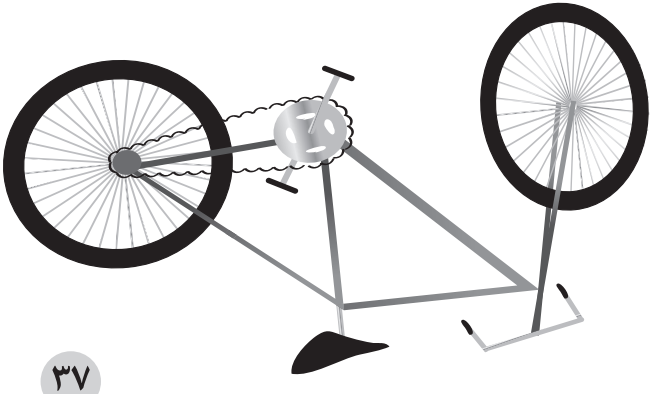

السَّيف والأصدقاء

عادَ (جميل) ذاتَ يوم من المدرسةِ الابتدائية التي دخلَها هذا العامَ وهو يردد:
- سيفُ صلاح الدين.. سيفُ صلاح الدين.
وبينما كانت أمُّهُ تُهيِّئ طعامَ الغداء تناولَ قضيباً، وراحَ يبارزُ به عموداً إسمنتياً في بيتهم صائحاً بالعمود:
- أيَّها الجبان أشهرْ سيفَك.
ثمَّ طعنَ العمودَ الصلبَ بقضيبه، فانكسرَ القضيب!
في عصرِ ذلك اليوم اجتمعَ جميل بأصدقائه: رَعْد، هالة، دَيْدبانة، وشُوشُو، فإذا به يهتف:
- سيفُ صلاح الدين.. سيفُ صلاح الدين.
سألَهُ الأصدقاءُ عن قصةِ هذا السيف، فانطلقَ يحكي بحماس:
- اسمعُوا، اليومَ سألتُ معلمتَنا في المدرسة عن معنى كلمة: (بطولة)، فقالت لي: البطولةُ يا جميل هي أنْ يُقاتِلَ الإنسانُ في سبيلِ مبادئه حتى الموت، ثمَّ حدَّثتْنا عن البطل صلاح الدين الأيوبي، وأخلاقِه وسيفِه العظيم.
قالت هالةُ وفي عينيها نظرةٌ حالمة:
- هل هو سيفٌ سحريٌّ يُحوِّلُ الأعداءَ إلى حجارة؟
أجابَها جميل:
- لا.

سألَتْهُ القطةُ دَيْدبانة بلهفة، وهي تتسلقُ بنطالَهُ:
- هل هو سيفٌ من نار يجعلُ جيشَ الأعداءِ رماداً؟
ردَّ جميل:
- لا.. لا. إنه سيفٌ عاديّ، لكنه قاطعٌ جداً.
قال رَعْد وهو معروفٌ بينَ الأصدقاء بميله إلى المشاكسة والتحدي:
- السيوفُ كلُّها قاطعة يا جميل.
تمهَّلَ جميل، ثمَّ قال موضحاً:
- كانَ صلاحُ الدين يقذفُ منديلاً حريرياً في الهواء، ويتلقاهُ به، فينقسمُ المنديلُ إلى قسمين!
وثبتْ دَيْدبانةُ إلى كتفِ جميل، وهتفتْ في الأعلى:
- ميـاو.. ما أروعَهُ!
قال الكلب شُوشُو بصوتٍ حكيم:
- حقاً رائع! حقاً عظيم! فالحريرُ شديدُ النعومة، سريعُ الانزلاق، ولا يقسمُهُ هكذا إلا سيفٌ قاطعٌ جداً.
صمتَ الجميع، وظهرتْ عقدةُ التفكير فوقَ جبينِ جميل كالوردةِ الصغيرة، قالَ جميل بعدَ قليل وهو يُنْزِلُ دَيْدبانةَ من فوقِ كتفه:
- سأصنعُ سيفاً.
اعترضَهُ رَعْدٌ ساخراً:
- أنتَ ستصنعُ سيفاً؟! لا تستطيع. يا لكَ من مغرور! ها.. ها.. ها.
هجمتْ دَيْدبانة، عضَّتْ ساقَ رَعْدٍ عضَّةً خفيفة، قالت:
- اسكتْ يا رَعْد. دَعْهُ يجرِّبْ.

صاحَ رَعْد:
- أيْ.. أيْ تُشجعينه حتى تلعبي بأدواتِ العمل يا شيطانة!
تدخَّلَ شُوشُو قائلاً بوقار:
- يمكنُ لجميل أنْ يصنعَ سيفاً خشبياً الآن، وفي المستقبل يصنعُ من الحديد أفضلَ منه.
كانَ الأصدقاءُ يصغون باهتمام إلى شوشو لما عندَهُ من الحكمةِ والمعرفة اللتين اكتسبَهما من تجواله الكثير، وسماعِهِ لأحاديث الناس.
قالت دَيْدبانة:
- نستعينُ بالحداد.
هتفَ جميل بحرارة:
- لا.. لا. كانَ صلاحُ الدين يصنعُ سيفَهُ بيده. هكذا حدَّثتنا المعلمة.
عادَ شُوشُو إلى الكلام، فقال:
- ليتنا نصنعُ سيفاً لكلٍّ منا، فالأعداءُ عندما يأتون لا ينجو منهم أحد.. حتى أمثالُ شُوشُو ودَيْدبانة!
ضحكتْ ديدبانة قائلةً بدهشة:
- سيفٌ لي، وسيفٌ لك؟!
- نعم. فما أكثرَ جدودي وجدودكِ الذين قتلَهُم العدو!
قالت هالةُ ببراءة:
- أنا سأصنعُ سيفاً صغيراً للعبتي (أميرة) حتى تدافعَ به عن نفسها.
انطلقَ جميل وأصدقاؤه يفتشون عن أخشاب لصناعةِ السيوف، بحثوا في البساتين وزوايا البيوت، وأثناءَ ذلك رآهم أطفالٌ آخرون من الضيعة، فتساءلوا: ماذا يفعلون؟ فحكتْ لهم دَيْدبانةُ كلَّ شيء. تشوَّقَ هؤلاء الأطفالُ لصناعةِ السيوف أيضاً، فراحوا يجمعُون لأنفسهم

أخشاباً، ومسامير. وبدأ العمل.. كانَ الجميعُ منهمكين فيه، وكأنهم يستعدونَ لمعركةٍ قريبة. دَيْدبانة كانت تنطُّ كشيطان بينَ يدَيْ جميل، فأصابَ ذنبَها بالمطرقة! حَمَلَها الولدُ مواسياً، قالَ لها:

- آه يا عفريتة.. مددتِ ذنبَكِ الطويل أمامي، فظننتُهُ سيفاً، ودققتُهُ بالمطرقة!

ضحكَ رَعْدٌ، وكانَ قريباً منهما، قال:

أعطني ذنبَكِ يا دَيْدبانة لأجعلَ منه حبلَ غسيلٍ لأمي.

تتابعَ العمل، وصنعَ جميل سيفاً، أعجبَ الجميعَ، لكنه حينَ حَملَهُ وحرَّكَهُ في الهواء شعرَ بأنه طويلٌ جداً.

قال شُوشُو متأملاً:

- اجعلْهُ أقصرَ ليكونَ مناسباً لطولِ جسمك.

أحدُ الأطفال صنعَ سيفاً من قصب، ولمَّا حاولَ تجريبَهُ انخلعَ مقبضُهُ بسرعة، فقال شُوشُو:

- السيوفُ يجبُ أنْ تكونَ من مادةٍ صلبة، والقصبُ لا يَصْلُح لها.

قُبيلَ المغرب كانت عشراتُ السيوف قد صارت جاهزةً، رَفَعَها الأصدقاء فوقَ رؤوسِهم فرحينَ بها، صاحَ جميل:

- سأجرِّبُ طريقةَ صلاح الدين.

أخرجَ منديلَهُ الخاص من جيبه، وأخرجَ الأطفالُ مناديلَهم، قذفَ الجميعُ المناديلَ في الهواء، وتلقَّوْها بسيوفهم، فلم تنقسمْ كما انقسمَ منديلُ صلاح الدين، ولكنها شكَّلتْ وهي في الهواء صورةً رائعة، كأنها سحابةٌ منخفضةٌ جداً، أو كأنَّ السماءَ تُمطرُ ورداً أبيض.

قال شُوشُو:

- لا تحزنوا. في المستقبل يمكنُ أن تصنعوا سيوفاً تقطعُ المناديل.

لَعَّبَ جميل السيفَ فوقَ رأسه، وقال:

- عندي فكرة. ما رأيُـكمْ أنْ نُمثِّلَ معركةَ صلاح الدين فننقسمَ إلى جيشين: جيشِ صلاح الدين، وجيشِ الأعداء؟

لاقت الفكرةُ استحساناً وحماساً عندَ الأصدقاء، ولدى الأطفال الذين لحقوا بهم.

تقدَّمَ جميل خطوةً إلى الأمام، قال:

- نبدأ أولاً بتشكيل جيش الأعداء.

نظرَ فيمن حولَهُ، ثمَّ قال لديدبانة:

- تعالَيْ أنتِ.

تراجعت القطةُ خائفةً، قالت:

- أنا؟! أنا لا أقبلُ أنْ أكونَ في جيشِ الأعداء.

- لماذا يا دَيْدبانة؟

- ألم يقلْ شُوشُو: إنهم كانوا يقتلون حتى الكلابَ والقطط!

عرضَ جميل على رَعْد أنْ يكونَ في ذلك الجيش، فرفضَ أيضاً، نظرَ إلى شُوشُو وقبلَ أن يتكلمَ قال شُوشُو:

- إياك أنا أكثرُهُم رفضاً. شُوشُو في جيش الأعداء؟! لا يمكن.

الأطفالُ الآخرون الذين لحقوا بالأصدقاء لم يقبلوا كذلك، وكان كلٌّ منهم يصيح:

- جيشُ الأعداء! لا يا جميل، لا أدخلُ فيه.

سألهم جميل:

- أينَ تريدون أنْ تكونوا إذن؟

هتفَ الجميع:

في جيشِ صلاحِ الدين.

قصص أخرى

قُبَّعة في السماء

أحبَّتِ القُبَّعةُ الصغيرة أنْ تقومَ بمغامرة لِتَدْخُلَ عالمَ الإثارةِ والدهشة.
نعم.. إنها تحبُّ المغامرات، وحياتُها صارتْ مملة، فالطفلُ محمود أحياناً يضعُها على رأسه، أحياناً يَقْلبُها على ظهرها ليرمي فيها مشطَهُ أو مفتاحَ دراجته، أحياناً يقذفُها بينَ ألعابِهِ المكسورة حيثُ الفيلُ بلا خُرطوم، والزرافةُ بلا رقبة، والسيارةُ بلا عجلات!
كانت على طَرَفِ النافذة، مرَّ بها الهواء يَصْفُر ويُغنِّي.. هوبْ وثبتْ وتعلَّقتْ به! سألها:
- يا قُبَّعة.. يا حلوة لماذا تعلَّقتِ بي؟
حكتْ له حكايتَها، فصاحَ فَرِحاً:
- يا سلام.. أنا مثلُكِ أحبُّ المغامرات، ولكنْ.. هيَّا لنلعبَ ونمرحَ أولاً، وبعدَ اللعب نُفكِّرُ في أمرِ المغامرة.
حلَّقَ الهواءُ بالقبعة فوقَ البيوتِ، والمآذنِ، ورؤوسِ الأشجار، مرَّ بها بينَ عصفورٍ وحمامة، فامتلأتْ بالبهجة، لأنَّ الأولَ حيَّاها، والثانيةَ غمزَتْها.
سألها الهواء:
- ألا تخافينَ من الطيران يا قُبَّعة؟
- لا.. لا. ارتفعْ بي أعلى.. أعلى.
طارَ الهواءُ بالقبعة فوقَ سهلٍ أخضرَ فيه خراف، فوقَ نهرٍ ماؤه كالحرير الأبيض، أخذَ الهواءُ يمازحُ القبعة، ينخفضُ بشدة، ويرتفعُ بشدة، فحدثَ ما لم يكنْ بالحسبان.. اختلَّ

توازنُ القبعةِ فجأةً، مالتْ على جَنْبها، و.. سقطتْ في النهر! ثمَّ ابتلَّتْ خلالَ دقائق، فنزلتْ إلى القاع، وهي منقلبةٌ على ظهرها!

تحتَ الماء وجدتْ نفسَها في عالمٍ غريب، ياه.. ماهذا؟! حصىً، حشائشُ، أسماكٌ ملوَّنة، وهي مجرَّدُ قُبَّعة.. قُبَّعة وحيدة! شعرتْ بالخوف، ولم تعرف كيف تتصرف! اقتربتْ منها سمكةٌ زرقاء تتحركُ بخفة كأنها ترقص، فرحتْ حينَ رأتْها تدورُ حولها، ظنت القبَّعةُ أنَّ السمكةَ ستلعبُ معها وتُسلِّيها، أو ستضعُها على رأسها لتصبحَ أميرةَ الأسماك، لكنَّ السمكة استدارتْ، ورمتْ فيها مجموعةً من بيوضها! وهي كراتٌ صغيرة جداً! وقبلَ أنْ تذهب وقفتْ أمامَها، نظرتْ إليها، وكأنها ترجوها أنْ تحافظَ على البيض!

بعدَ ذهابِ السمكة لم تصدِّقِ القبَّعة ما جرى لها، أخذتْ تضحكُ وتهتزُّ من شدةِ الدهشة. هكذا بينَ لحظةٍ وأخرى صارتْ حاضنةَ بيض! مطلوبٌ منها أنْ تحرسَهُ وتحافظَ عليه! لا.. لا. إنها ليست دجاجةً، ولا حمامة، ستتركُ نفسَها لتيار النهر ليقلبَها، وتتخلصَ مما فيها، لكنها كلما فكَّرتْ في هذا تذكَّرتْ نظرةَ السمكة.. تلك النظرةَ الشفافةَ العميقة، فعادتْ تهتمُّ بالبيض، والغريبُ أنها أخذتْ تحبُّه، وتشعرُ نحوَهُ بشعورٍ جديد ربما لم تشعرْ به أيُّ قُبَّعةٍ من قبل.

بعدَ أنْ فقستِ البيوضُ وصارتْ أسماكاً، خرجت القبعةُ من الماء، أخرجَها راعٍ صغير غطسَ في النهر، غَسَـلها، ولمَّا جفَّتْ وضعَها على رأسه.

نامَ الراعي ذاتَ يوم وقد تركَها بجانبه، اقتربَ كلبُهُ منها، أخذَ يتحدثُ عن مغامراته في صدِّ الذئاب، ولمَّا حدثته عن مغامرتها تحتَ الماء نبحَ قائلاً:

- قبَّعة صارتْ أمَّاً لبيوض السمك! ما أروعَ هذا!

حكى للخراف، فكانت هذه كلما نامَ الراعي، تأتي إليها، تطلبُ منها أنْ تحكي لها كيفَ صارتْ أمَّاً لبيوضِ السمك، عندئذٍ تحكي القُبَّعة عن مغامرتِها وهي سعيدةٌ.. سعيدةٌ جداً.

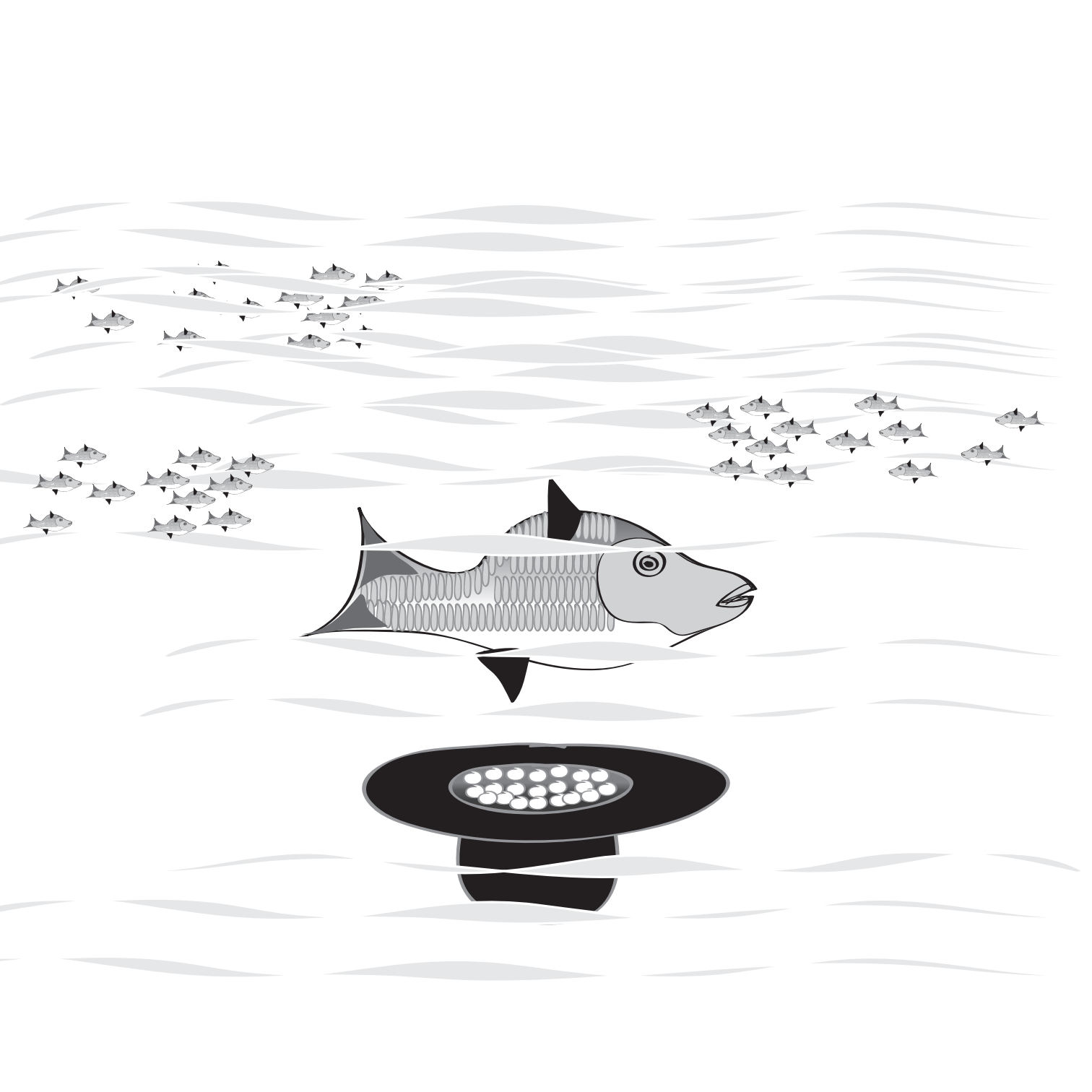

الخروفُ الصغير

بينما كان الخروفُ الصغير يأكلُ العشبَ في سفحِ تلَّة رفعَ رأسَهُ إلى السماء، فرأى غيماً أبيضَ كالصوف يسبحُ بهدوء.

رمى العشبَ من فمه، صاح:

- مااع.. هذا الغيمُ سرقَ صوفي.. سألحقُ به.

صعدَ التلةَ، أخذَ يقفزُ نحوَ الأعلى محاولاً أنْ يمسكَ ذيلَ الغيم، لكنه تَعِبَ، فنام.

رأى نفسَهُ في المنام يذهبُ إلى المطار، يقطعُ تذكرةً، ويركبُ في طائرة، ولدى مرورها قُربَ الغيم، صرخ:

- مااع. أنزلوني هنا.

ضحكت المضيفةُ، قالت:

- تنزل! كيف؟ لا يوجدُ مطارٌ في منتصفِ السماء!

ولمَّا حكى لها حكايتَهُ، ضحكتْ مرةً ثانية، قالت مداعبة:

- أيُّها الخروفُ الصغير عليكَ أنْ تذهبَ إلى المدرسة.

- أنا؟!

- نعم لتعرفَ الفرقَ بينَ الغيم وصوفِ الخراف.

ضحكَ الخروف وهو يتصوَّرُ نفسَهُ يحملُ حقيبةً كالتلاميذ، ويسيرُ بينَهم، وفي نهايةِ ضحكتِهِ استيقظ، كانَ الغيمُ يبتعد، ولهُ أشكالُ حروفٍ أبجدية.